العمل المعجمي عند العرب
وكيف نصنفه ؟

د٠ محمد السيد عطية بكر
مدرس أصول اللغة ــ جامعة الأزهر

اللغة ظاهرة اجتماعية تصـــور حياة الأمم ، ونبض الشعوب ، وتعكس حضـــارتها وتقدمهـــا ، وعاداتها وتقاليدها على مر الأزمان وتعاقب الأجيال ٠

لذا عنيت الأمم ــ من قديم ــ بلغتها ، ووضعت أمام أبنائها كافة التسهيلات والتيسيرات لدراسة ألفاظها ، وحشد مفرداتهـــا فى سجلات عرفت ــ فى حينها ــ بالمعاجم ٠

من هذه الأمم التى كان لها فضـــل السبق فى هذا المضمار الهنود والصينيون والبرتانيون وغيرهم،ويكاد يجمع الباحثون على أن هذه المعاجم كانت عبارة عن مجاميع أو مختصرات ترمى الى تفسير طائفة أو طوائف من الألفاظ مرتبة على حسب المعانى أو الموضوعات فهى تشبه الى حد كبير المخصص لابن سيده المتوفى/٤٥٨هـ ٠ الذى يجمع فيه ألفاظ اللغة وفق المعانى والموضوعات ٠

أما المعجم اللغوى الذى يهدى الى حصر اللغة ٠ وضم شتاتها،ولم شعثها فلم تعرفه هذه الأمم التى ازدهرت حضارتها قبـــل العـــرب ٠ ونستطيع أن نقول فى يقين ان العرب هم أصحاب فكرته والمبدعين له(١)٠

---

(١) انظر مجلة الأزهر مجلد ٢٤ ج ٩ عدد مايو ١٩٥٣ ، والمعاجم العربية دراسة تحليلية د٠ عبد السمع محمد أحمد ط ١٥/٤ ٠

وتهدف هذه المعاجم الى الحفـــاظ على اللغة من الضياع من أثر الاحتكاك بلغة أو لغات غريبة عليها ، أو تيسير تعليمها لأبنـــاء الأمة اذا تشعبت بهم الأوطان والمنازل ، أو للأجانب الطارئين عليها ، أو محاولة تكملة ما بها من نقص يعوضها عن مجاراة التطور ، وتوسيع نطاقها على نحو يجعلها أداة كافية للتعبـــير عن مختلف فنـــون القول وأغراض الحياة(٢) .

لماذا تأخر العرب عن التأليف المعجمى ؟

لاشك أن العرب لم يعرفوا فن المعجم فى الجاهلية وكذا فى صدر الاســـلام لأسباب خرجت عن مقـــدرهم ، ولم يكن فى اســـتطاعتهم التغلب عليها فضلا عن افتقارهم الدوافع الى ذلك . فالعرب أمة أميـــة كانت تعيش فى جهالة لا تعرف طريق العلم ، ولم تهتد لسبيله ، وحياتهم قائمة على الغزو والنقلة من مكان الى آخـــر حيث يوجد الكلا ويتوافر الماء . فلا ثبات فيها ولا اطمئنان،ولا هدوء ولا استقرار . فكيف لأمة هذا شـــأنها أن تسعى الى العلم وأن تجد فى طلبه . اضف الى هذا أن اللغة الفصحى نشاطهم اليومى ، وعملهم الذى أبدعوا فيه ، وأثبتـــوا حذقا ومهارة لا تبارى ــ فلسانهم الذى ينطلق على سجيته يعبر عن كل ما يجيش فى نفوسهم من مشاعر وأحساسيس دون حدود أو قيود جبل على الفصاحة ، وطبع على البيان بحيث لم يعرف اللحن اليه سبيلا . وكان من فضل الله عليهم أن عوضهم عن تلك الأمية ذكاء حادا ، وذهنـــا متوقدا ، وحافظة قوية تسجل كل ما يقوله الشعراء والخطباء ، ويصغون به أحـــوال العرب اشـــادة بمفاخرهم ، وتمجيدهم لماضيهم ، أو ذما لبعض نعوتهم ... الخ .

---

(٢) مجلة الأزهر العدد السابق بتصرف . مقال للدكتور عبدالحليم النجار عن نشأة المعاجم . وتطورها . ص ١٠٨٦ .

فكان كل عربي يمثل كتابا أو جزءا من كتاب لكثرة ما يحفظ من أشعار أو يسجل من أخبار ، كما أن كل قبيلة كانت بمثابة سجل زمنى يجمع الآثار ويدون الأخبار(٣) .

ولانتشار الأمية فى الجزيرة العربية ، وتفشيها فى القبائل نرى أن الذين مكنتهم ظروف الحياة العربية ، نفر قليل من أبناء العرب نجوا من الأمية التى أحكمت قبضتها عليهم ، فتعلموا القراءة والكتابة ، ونالوا قسطا من التعليم .

نذكر منهم : دغفل بن حنظلة ، وعبيد بن شربة الجرهمى . وابن الكيس النمرى ، وابن لسان الحمرة وغيرهم(٤) .

من أجل ما ذكرنا تأخر العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام عن التأليف المعجمى(٥) .

فلما جاء الاسلام وبزغ فجره فى ربوع الجزيرة العربية وخارجها ، وأخذ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ازداد عدد المسلمين من غير العرب ووقع الاختلاط ، وكان من الطبيعى أن يتسرب اللحن إلى لغة العرب ، وأن تصاب بالتحريف ، وأن يعتريها فساد السليقة جراء هذا الاختلاط وممن لانت جلودهم وذاقوا نعيم التحضر من العرب ومن غيرهم من الموالى والمتعربين . فخيف على اللغة من أن تفشى فيها

---

(٣) تاريخ آداب العرب للرافعى ٢٧١/١ ط ٤ ـ ١٩٧٤م .

(٤) المصدر السابق ٢٧٣/١ .

(٥) لكن هذا لا يمنع من وجود الفكر المعجمى عند العرب ممثلا فى استفسارات بعض أبناء العرب وفصحائهم عن معانى بعض الألفاظ الغريبة فى القرآن الكريم انظر فى ذلك الاتقان للسيوطى ١٥٧/١ وما بعدها . والمعجم العربى فكرا وتاليفا للدكتور ابراهيم أبو سكين ١٧ ـ ١٦ .

ذلك الفساد ، وتستشرى آفة اللحن ، فيكون له أثره السيء على فهم القرآن الكريم وتحريفه ، وكذا الحديث النبوى الشريف وهما أساس الدين ، وجوهر العقيدة •

جهود اللغويين فى الحفاظ على اللغة :

من أجل ذلك هب العلماء الغيورون على اللغة ، والمهتمون بأمرها يقطعون الصحراء ، وينتقلون بين بواديها حيث تقطن القبائل العربية أصحاب الفطر السليمة ، واللسان العربى الأصيل الذى لم تمسسه شائبة اللحن ، ولم يصبه عوج المتمدين والتحضر•ويجمعون اللغة من أفواه العرب الثقاة ذوى السلائق العربية الصحيحة ، ويشهد الله أن هؤلاء العلماء قد أبلوا بلاء حسنا ، وتحملوا متاعب جمة وبذلوا الجهد والجهيد من أجل خدمة لغة القرآن الكريم • ولقد حقق الله لهم ما أرادوا ، وحفظوا لنا اللغة العربية ، وسجلوها فى معاجم وكتب حملت اسمهم لتكون مصابيح هداية ، ومنارات ارشاد كلما زل القلم ، أو تعثر اللسان •

ومن الأعراب الذين نقل عنهم علماء اللغة : أبو خيرة العدوى والخثعمى ، وأبو الدقيش وكان من أفصح العرب ، وأبو مهدية الأعرابى ، وأبو المنتجع ، والمقعسى وغيرهم(٦) •

ومما يحمد لعلماء اللغة آنذاك — أنه قد توافرت لهم الدقة المتناهية ، والأمانة العالية فى النقل عن هؤلاء الأعراب • فلم ينقلوا كل

---

(٦) سأل الكسائى / ١٨٩هـ الخليل بن أحمد قائلا : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادى نجد والحجاز وتهامة • فخرج الكسائى الى البادية ، ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ • انظر الفهرست لابن النديم /١٦ وانباه الرواة ١١٤/٤ وقارن بتاريخ آداب العرب للرافعى ١٤١/١ •

ما سمعوه بل دفعهم الحرص على سلامة اللغة ، وبقائها نقية خالصة من شوائب اللحن والرجوع الى منطق الأعراب اذا بدا للواحد منهم ارتياب فى ضبط لفظ ، أو شك فى فصاحته • وبخاصة أسماء الأمكنة والبقاع وما يجرى مجراها من هذه الجوامد التى يعرفها الأعراب عن يقين وعيان ، ويسمع عنها الرواة من علماء اللغة •

وأذكر مثالا يوضح موقف علماء اللغة من دقة الضبط ، وتحرى معانى لألفاظ — قال أحمد بن يحيى : لقينى أبو محلم على باب أحمد بن سعيد بن مسلم ومعه أعرابى فقال : جئتكم بهذا الأعرابى لتعرفوا منه كذب الأصمعى • أليس كان يقول فى قوله :

● زوراء تنفر عن حياض الديلم ●(٧)

ان الديلم الأعداء ؟ فاسألوا هذا الأعرابى • فسألناه فقال : هى حياض بالغور قد أوردتها ابلى غير مرة(٨) •

ويؤكد لنا ذلك ما ساقه الأزهرى فى مقدمة كتابه تهذيب اللغة فيقول : « ولو أنى أودعت كتابى هذا ما حوته دفاترى وقرأته من كتب غيرى ووجدته فى الصحف التى كتبها الوراقون ، وأفسدها المصحفون لطال كتابى • ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها • ولقليل لا يخزى صاحبه خير من كثير يفضحه•ولم أودع كتابى هذا الا ما صح

---

(٧) هذا عجز بيت لعنترة • وصدره : شربت بماء الدحرضين فأصبحت ••• والدحرضان هما : دحرض ووسيع ماءان • وزوراء : ناقة فيها اعوجاج • والديلم : قيل : الأعداء وقيل : حياض بالغور • وقيل : هم بنو ضبة وقيل غير ذلك • لسان العرب : دلم •

(٨) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/٣٣٧ •

لى سماعا عنهم أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتى الفهم الا حروفا وجدتها لابن دريد وابن المظفر فى كتابيهما ، فبينت شكى فيها وارتيابى بها »(٩) .

المعجم بين الاسم والمسمى :

واصل علماء اللغة(١٠) جهودهم الجليلة فى جمع اللغة وتدوين مفرداتها على مراحل مختلفة(١١) فى غير كلل ولا ملل حتى تسنى لهم حصرها بصورة شاملة فى عدة رسائل وكتب كانت النواة الأولى لمعاجم الألفاظ من أمثال : كتاب العين للخيل بن أحمد المتوفى/١٧٥هـ وتهذيب اللغة للأزهرى المتوفى/٣٧٠هـ ، والصحاح للجوهرى المتوفى/٣٩٨هـ ، والقاموس المحيط للفيروزبادى المتوفى / ٨١٦هـ ... الخ . وعلى هذا نستطيع أن نعرف المعجم بأنه ذلك الكتاب الذى يضم بين دفتيه ألفاظ اللغة بطريقة معينة مشروحة شرحا يزيل ابهامها ويكشف غموضها أو « هو ذلك الكتاب الذى يضم كل كلمة فى اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها »(١٢) .

وقد ذهب بعض الباحثين(١٣) الى أن الأصل فى تسمية الكتاب بالمعجم أن ترتب معلوماته على الحروف ، ويمثل له بالقاموس المحيط للفيروزبادى / ٨١٦هـ . ولسان العرب لابن منظور المتوفى / ٧١١هـ .

---

(٩) تهذيب اللغة ١/٤٠ تحقيق عبد السلام هارون .

(١٠) من هؤلاء العلماء : الخليل بن أحمد وخلف الأحمر ويونس بن حبيب الضبى والأصمعى وأبو زيد الأنصارى .

(١١) انظر مراحل جمع اللغة فى ضحى الاسلام ٢/٢٦٣ وما بعدها وقارن بالمعجم العربى نشأته وتطوره ١/٣٣ ، ٣٤ .

(١٢) مقدمة الصحاح ٣٨١ .

(١٣) مجلة الأزهر عدد مايو ١٩٥٣ .

والصحاح للجوهرى والجمهرة لابن دريد المتوفى / ٣٢٥هـ • تقريبا • فلا يصـــح عنده أن يطلق لفظ المعجم على المجاميع اللغوية مثل : كتب الغريب فى اللغة والقرآن والحديث التى رتبت على طوائف مختلفة من المعانى والموضوعات الا تجوزا •

ويرى أن اطـــلاق لفظ المعجم على هذه الكتب وغيرها كفقه اللغة للثعالبى المتوفى / ٤٢٩هـ • والألفاظ الكتابية للهمذانى المتوفى/٣٢٧هـ• والمخصص لابن سيده المتوفى/٤٥٨هـ هـ • على يد بعض المتأخرين(١٤) فيه تساهل •

مناقشة هذا الرأى :

وبالنظر فى رأى الباحث الســـابق يبدو لنا من وجهة نظره تقييد المعجم اللغـــوى بما توافر على جمع الألفاظ ، وترتيبها على الحروف • لذلك فهو يستبعد من المعاجم اللغوية كتب الطبقات كالاصابة فى تاريخ الصحابة ، ودوائر المعارف المرتبة على الحروف لأنها لم تعن بجمـــع الألفاظ ، وترتيبها على الحروف ، وان كانت قد سارت فى طريقة تبويبها على حروف المعجم • فيبعدها معاجم غير لغوية • ونحن نرى أن فى ذلك تضييقا لدائرة المعجم الذى عرفه البعض بأنه « كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا أما على حروف الهجاء أو الموضوع»(١٥) وفى ضوء هذا التعريف اهتدى معظم الباحثين المحدثين وتوسعوا فى مدلول المعجم ليشمل كل الكتب التى عنيت بجمع اللغة مطلقا • ويا ليت أن هذا التوسع

---

(١٤) يقصد د• على عبد الواحد وافى فقد عرض لهذا الرأى فى كتابه (فقه اللغة) /٢٧٩ •

(١٥) مقدمة الصحاح /٣٨ •

قد خص الباحثين المحدثين وحدهم بل وجدنا من القدماء من علمـــاء الحديث من يطلق لفظ المعجم على مؤلفه الذى جمع فيه أسماء الصحابة مرتبة على حروف كأبى يعلى التميمى المحدث المتوفى / ٣٠٧هـ • وسماه (معجم الصحابة) وتلاه البغوى المحدث أبو القاســـم عبـــد الله بن عبد العزيز المتوفى / ٣١٧هـ • فقلده فى كتابين سماهما (المعجم الكبير والمعجم الصغير) ويبدو لنا أن لفظ المعجم قد فهم معناه بداية من خلال ترتيب المادة العلمية فى الكتـــابات على حروف المعجم ومن ثم كانت التسمية بالمعجم •

المعجم عند علماء اللغة :

أما علماء اللغة فلم نعرف واحدا منهم أطلق على كتابه اسم المعجم على الرغم من أن التسمية جديرة بمؤلفاتهم التى عنوا فيها بجمع اللغة بل سمى كل واحـــد منهم كتابه بما تراءى له من أسباب دفعته لتأليف كتابه كما رأينا فى تسمية الخليل بن أحمد لكتابه باسم العين •

وكذلك الأزهرى فى تهذيب اللغة وابن دريد فى الجمهرة ، والجوهرى فى الصحاح وابن فارس فى كتابه مقاييس اللغة ••• الخ •

المعجم والقاموس :

وهكذا ظل لفظ المعجم لا تعرفه كتب اللغة التى عنيت بجمع الألفاظ حتى جاء الفيروزبادى وعزم على وضع معجم يسير وفق مدرسة القافية فأطلق عليه اسم القاموس(١٦) • وهى تسمية ــ كما ألمعنـــا قبل ــ لم يسبق اليها • ولما ذاع صيت القاموس وأطبقت شهرته الآفاق أصبح لفظ القاموس علما عليه • بل اكتسب اللفظ دلالة أوسع حينما أضحى يطلق

---

(١٦) **وهى كلمة تعنى البحر العظيم** ثم أخذ هذا اللفظ يتطور معناه حتى وصل **للدلالة عن ما استقر فى أذهان الناس** من معنى المعجم •

على كل كتاب فى اللغة جمعت مادته وفق حروف المعجم بدءا من العين للخليل بن أحمد ونهاية بالمعجم الكبير الذى أصدر منه مجمع اللغة العربية الجزء الأول والثانى ويضمان حرفى الهمزة والباء • جاء فى المعجم الوجيز مادة (قمس) « القاموس : البحر العظيم ، وعلم على معجم الفيروزبادى و ــ كل معجم لغوى على التوسع »(١٧) •

فلفظ القاموس أصبح اليوم يرادف لفظ المعجم فى معناه بل طغت شهرته عليه حينما أخذ كثير من مؤلفى المعاجم وبخاصة ثنائية اللغة(١٨) منها يطلقون على معاجمهم كلمة قاموس(١٩) •

هذا العمل ••• كيف نصنفه ؟؟

سؤال يفرض نفسه على ساحة البحث اللغوى بعد أن أصبح رصيدنا من المعاجم العربية كما هائلا وعظيما يجعلنا نطاول السماء ، ونفاخر جميع الأمم الماضية والحاضرة • فلقد أتيح للغتنا العربية من المعاجم التى حفظتها وحمتها من عوادى الزمن ما لم يتح لغيرها من اللغات الأخرى وهذا بلاشك فضل من الله عظيم فهى لغة القرآن الكريم ، وسر اعجازه ، وهو ــ أى القرآن ــ مبعث قوتها ومجدد حيويتها وأساس بقائها وخلودها على الزمان •

ولما كانت تلك المعاجم بهذه الكثرة التى فاقت كل تصور بين معاجم عنيت بجمع الألفاظ وحشد مفرداتها وتسير وفق منهج معين ، ومعاجم تسلك سبيل الموضوعات والمعانى وأخرى تعالج لونا من المصطلحات فى

---

(١٧) المعجم الوجيز / قمس •

(١٨) كالمعاجم العربية الأجنبية التى تجمع ألفاظ لغة أجنبية فتشرحها وتضع أمام كل لفظ ما يعادله فى المعنى من ألفاظ عربية •

(١٩) المعاجم اللغوية العربية د• أميل يعقوب ط الأولى ١٩٨١ ص١٥

فن واحد أو مجموعة من الفنون(٢٠) الى غير ذلك من معـاجم عديدة ومتنوعة •

وبدراسة ألوان هذه المعاجم كل لون فى بابه • وجدت خلطـا وقع فيها بين بعض الباحثين لذا رأيت أن أشارك بجهد متواضـع فى تجلية هذه القضية ، وعرض ما ارتأيناه يخدم هذا العمل ويبلوره ، ويوضح الصورة أمام الباحثين والدراسين للغة العرب دون لبس أو غموض • وبداية نعرض لتصور اللغويين المحدثين ثم نعقب عليه راجين التوفيق وسداد الرأى •

لقد اعتاد بعض الباحثين المحدثين أن يقسموا المعاجم قسمين :

١ ــ معاجم عامة(٢١) :

وهى التى تعنى بحصر ألفاظ اللغة حصرا شـاملا وتقوم فكرتهـا على أساس معالجة اللفظة من حيث ضبطها وبيـان أصلها ومشتقاتها وشرح مدلولها ، ودعم ذلك بالشواهد الشعرية والنثرية • وهذا النوع من المعاجم تختلف مناهجها طبقا للطريقة التى اختارها المؤلف • فنرى البعض يرتبها على أساس صوتى أى وفقا لمخارج الحروف كمـا فعل الخليل بن أحمد فى كتابه المسمى بالعين ومن لف لفه ، ومنهم من رتبهـا على أساس الترتيب الهجـائى المألوف كما فعل ابن دريد فى جمهـرة اللغة والزمخشرى فى أساس البلاغة ، ومنهم من رتبها على أسـاس

---

(٢٠) معاجم **المصطلحات فى فن واحد** يمثلهـا مصـطلح الحـديث ومصـطلحات الصـوفية وفى عدة فنون يمثلهـا التعريفات للجرجانى والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى وكليات أبى البقاء وغيرها •

(٢١) وتسمى **أيضا معاجم الألفاظ أو المعـاجم المجنسـة** • انظـر المخصص لابن سيده ١/٨ وفقه اللغة د• وافى ٢٨٣ •

القافية كما صنع الجوهرى فى صحاح اللغة والفيروزبادى فى القاموس المحيط • وهكذا •

٢ ــ معاجم خاصة :

وتتناول جمع اللغة بطريقة خاصـــة حيث تقوم فكرتها على جمـــع الألفاظ التى تدور فى فلك واحد وحول موضوع واحد • وهذه المعاجم تعرف بمعاجم الموضوعات أو معاجم المعانى ، أو المعاجم المبوبة • وبدأت بعدة رسائل أو كتيبات تنتظم أبوابا صارت مادة لكتب بلغت النضـــج والكمال فيما بعد كالمخصص لابن سيده • وتتمثل هذه الرسائل فى صنيع أبى زيد الأنصارى المتوفى/٢١٥هـ • فى كتاب المطـــر والأصمعى المتوفى/ ٢١٦هـ فى كتاب النبات والشجر ••• وهكذا •

ويرى بعض الباحثين أن هذا النوع من المعاجم أسبق فى الوجود الزمنى من المعاجم العامة لذا يعدها الدكتور رمضـــان عبد التواب نواة للمعجم العربى(٢٢) • لكننا نرى أن مسألة التحـــديد الزمنى على هذا النحو أمر غير سديد نظرا لمعاصرة أصحاب هذه الرسائل اللغوية لمؤلفى المعاجم العامة • لذلك فان البعض يتحفظ فى هذا التحديد الزمنى لوجود هذه المعاجم الخاصة فيقول : « كانت أسبق فى الوجـــود أو معاصرة لأولية المعاجم المرتبة على الألفاظ ، وان أخذت البداية شكلا خاصـــــا يتمثل فى كتيبات صغيرة يتنـــاول كل منهـــا موضـــوعا واحدا من الموضوعات(٢٣) •

وهذا النوع من المعاجم الخاصة لم تتفق كلمة الباحثين على جعلها قسما واحدا بل جعلها البعض قسمين :

---

(٢٢) فصول فى فقه العربية /٢٨٩ •

(٢٣) البحث اللغوى عند العرب /٢٥٣ وأسس علم اللغـــة العربية د• محمود فهمى حجازى /١٠٠ •

١ ــ قسم يتناول الرسائل اللغوية التى تقوم على جمع ألفاظ اللغة مصنفة حسب موضوعات معينة مع ذكر ما يتعلق بها من معـــان وآثار أدبية ، وعربية كرســائل الأصمعى فى أسماء الوحوش والشجر والابل والخيل والسلاح وأبى حنيفة الدينورى فى الأنواء والنبات وأبى زيد الأنصارى فى المطر واللبن وغيرها مما يشبهه(٢٤) .

ويتوسع البعض(٢٥) فى هذا القسم فيضم اليــه كتب الظواهر اللغوية كالابدال والقلب لابن الســكيت المتوفى/٢٢٤هـ ، والابدال لأبى الطيب اللغوى/٣٥١هـ . والمعرب للجواليقى/٤٦٥هـ . والأضــداد لابن الانبارى/٣٢٧هـ . ويدخل فيها أيضا كتب المترادف والمقصور والممدود والمذكر والمؤنث وغيرها .

٢ ــ وقسم آخر يتناول موضوعات فى اللغة مرتبة ترتيبا موضوعيا حيث يقوم بايراد المعانى مرتبة حسب أطوارها أولا ثم يورد الألفاظ الموضوعة لهــا بعد ذلك ويمثلها مراحل خلق الانسان حيث يبدأ بذكر مراحل الحمل والوضع والرضاعة والعظام ثم يذكر الألفــاظ الخاصــة بتلك المعانى ويتمثل هذا النظام خير تمثيــل فى طائفة من الكتب اللغوية أمكن حصرها فى جملة من الكتب بلغت خمسة كتب مشهورة(٢٦) .

١ ــ كتاب الألفاظ لابن السكيت/٢٢٤هـ .

٢ ــ الألفاظ الكتابية للهمذانى/٤٢٩هـ .

---

(٢٤) علم اللغة بين القديم والحديث د. عبد الغفار هلال /٥٠ .

(٢٥) د. رمضان عبد التواب فى كتابه فصــول فى فقه العربيــة ٢٤١ وانظر محاضرات فى فقه اللغة د. عبد الفتاح البركاوى ١١٢ .

(٢٦) قام بحصرها د. على عبد الواحد وافى فى كتابه فقه اللغــة انظر /٢٧٩ .

٣ ــ مبادىء اللغة للخطيب الاسكافى / ٤٣١هـ .

٤ــ فقه اللغة للثعالبى/٤٢٩هـ .

٥ ــ المخصص لابن سيده/٤٥٨هـ .

ويعــد الكتاب الأخــير من أدق الكتب وأشهرها وأوسعها مادة فى هذا الباب .

ويتوسع د/رمضان عبد التواب فى هذا القســم فيضم اليه كتب الغــريب المصنف لأبى القــاسم بن ســلام وكتاب جواهر الألفــاظ لقدامة بن جعفر/٣٣٧هـ ، وكتاب متخير الألفاظ لأحمد بن فارس/٣٩٥هـ وكتاب التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء لأبى هلال العسكرى/٣٩٥هـ ، وكتــاب كفاية المتحفظ ونهــاية المتلفظ من اللغة وغريب الكــلام لابن الاجدابى/٦٠٠هـ .

ومن النظر الى هذا النوع من المعاجم الخاصة على كثرتها وتعدد ألوانها نراها قد خلت من الاشارة الى لون من المعاجم هى جديرة بالذكر والعناية شأنها شأن المعاجم التى كثر الحديث حولها ، وحظيت بالدراسة والاهتمام وهى معــاجم المصطلحات أو كما سماها أحد البــاحثين(٢٧) بالمعاجم الفنية . مع أن الباحثين يكادون يجمعون على أنهــا من ضمن المعاجم الخاصة وان كانت قد نشأت عنها فى وقت متأخر(٢٨) .

وفكرة معاجم المصطلحات أو المعاجم الفنية تبدو ــ الى حد ما ــ قريبة من فكرة المعاجم الخاصة . اذ هى تقوم على أساس جمع الألفاظ التى يمكن أن يكون لها استعمالات خاصة عند أهل الفنون بطريقة شبه

---

(٢٧) د. تمام حسان فى الأصول ٢٨٨ .

(٢٨) المصدر السابق ٢٨٢ وفقه اللغة د. وافى ٢٨٠ .

حاصرة وغير شاملة ، ويقوم المؤلف بترتيب هذه المصطلحات على حسب منهجه الذى يرسمه لنفسه ، وغالبا ما تأتى على ترتيب الحروف تيسيرا على الباحثين وتسهيلا للدارسين .

يقول الجرجانى فى مقدمة كتاب التعريفات ، «هذه تعريفات جمعتها واصطلاحات أخذتها من كتب القوم ورتبتها على حروف الهجـــاء من الألف الى الياء تسهيلا تناولها للطالبين،وتيسيرا تعاطيها للراغبين»(٢٩) .

ومما يدل على أن معاجم المصطلحات لم تلق العناية التامة بالدراسة والتحليل مثلما لقيتها بقية المعاجم الخاصة اهمال د/حســين نصــار فى دراسته الشاملة للمعاجم الخاصة فى حين أن هذه المعاجم لها أهميــة عظيمة لا تقل عن أهمية المعاجم الخاصة والعــامة(٣٠) ولاسيما فى هذا العصر الذى تقـــدم فيه العلم تقـــدما مذهلا ، وازدحمت الكتب بالمصطلحات العلمية والفنيــة ، وأصبح من الضرورى على المتخصصين وأهل اللغة مواجهة هذا الزحف الكاسر من المصطلحات ومعالجتها فى اطار القوانين اللغوية والقواعد العربية التى تسمح بالأخذ والتوليد فى نطاق الضرورة وكذلك لمسايرة اللغة ركب التقدم الحضارى العلمى ، وخشية أن توصـــم اللغة العربية بالجمود والتخلف ، أو أن تضيع وســط هذا الزحام الهائل من المصطلحات والأسماء الأجنبية الحديثة فتبدو غريبــة على أهلها .

رأى د/حسين نصــار :

والدكتور/حسين نصار قد أشار فى ذيل حديثه عن معــاجم الفقه الى معاجم المصطلحات وذكر منها مفاتيح العلوم للخوارزمى وكليــات

---

(٢٩) التعريفات /٢ للجرجانى المتوفى ٨١٦هـ .
(٣٠) الأصول /٢٨٨ .

أبى البقاء وتعريفات الجرجانى وكشاف اصطلاحات العلوم للتهـاثوى بيد أنه زعم أن معاجم المصطلحات لم تبلغ مبلغ شيوع معجمات الفقه فى اللغة نفسها لذلك فهو قد برر عدم اعتنائه بها وبنقل نص ما ذكره عن معـاجم المصطلحات وهى تلك العبارة التى أثارت قضية تصنيف المعجم العربى وحدت بنا الى هذا البحث والدراسة ، يقول : « ألفت كتب كثيرة فى مصطلحات العلوم المختلفة ولكن شيئا منها لم يصل الى مبلغ شيوع معجمات الفقه فى اللغة نفسها والى أن يكون معجمـا لغويا الى جانب عنايته بالمصطلحات مثل كتاب المطرزى (المغرب) والمصباح المنير ولذلك لم نتعرض لها بل نكتفى بالاشارة الى أسماء بعضها مثل مفاتيح العلوم للخوارزمى وكليات أبى البقاء وتعريفات الجرجانى وكشاف اصطلاحات العلوم للثهانوى وغيرها(٣١) .

مناقشة نص د/نصـار :

وأرى أن هذا النص ملىء بالغض من قيمة معـاجم المصطلحات ، والاجحاف بحقها . ثم كيف يسـاغ هذا القول وكليات أبى البقاء تعد موسوعة فى اللغة وعلم المصطلحات نادرة فى بابها ثم كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للثهانوى الذى يعد مفخرة وعملا عظيما لا يكاد يبارى فى هذا العصر ناهيك عن مفاتيح العلوم للخوارزمى وتعريفات الجرجانى وهما من أمهات المراجع فى تأصيل العلوم وترسيخ المصطلحات وغيرها كثير فهذه المعاجم تعطى تعريفا دقيقا للفظ وتفسره تفسيرا يميط اللثام عن معناه ، فهى فريدة فى بابها بحيث تختلف عن المعاجم العامة أو ما يعرف بمعاجم الألفاظ التى جرت على تفسير المعنى بالمرادف أو بالضد . ونحن نرى أن معاجم المصطلحات هى التطور الطبيعى لمعاجم الألفـاظ ـ ان صح هذا التفسير ـ أو هى البدائل الضرورية لمعاجم الألفـاظ

---

(٣١) المعجم العربى نشأته وتطوره ١/٦٩ .

فى جوانب اغفالها للمعانى الاصطلاحية ، والأبعاد الدلالية للألفـــاظ فى مختلف العلوم والفنـــون ، وهو ما تنادى به ونلح عليه فى معاجمنـــا العربية الحديثة للافادة العامة من المعجم ، وهو ما أخذ به نفسه مجمـــع اللغـــة العربية فى القـــاهرة فى معاجمـــه الثلاثة • الوســـيط والوجيز والكبير ، الأمر الذى يؤكد لنا أهمية معـــاجم المصطلحات عبر عصورها المختلفة •

كما أن د/نصار فى النص السابق ذكر من بين معـــاجم الفقه (المعاجم الخاصة) معجم المصباح المنير على أساس أنه يتنـــاول شرحا لبعض الفاظ والمصطلحات الفقهية مرتبة على حروف المعجم • وطبقـــا للتصنيف السابق للمعاجم (عامة وخاصة) أرى أنه يكون أقـــرب الى معاجم المصطلحات منه الى المعاجم الخاصة أو معاجم الألفـــاظ بل عده بعض الباحثين(٣٢) من المعاجم العـــامة وذكره ضمن معاجم الألفـــاظ ، ولعل الذى ســـوغ له ذلك أن وزارة التربية والتعليم قد قررته بعـــد اختصـــاره وحذف ما لا يلائم تلاميـــذ المدارس وطبعتها على نفقتهـــا الخاصة (٣٣) ، ومعاجم الفقه فى رأينا هى معاجم مصطلحات كمعاجم اصطلاحات الصوفية وغيرها وفى دراســـة لأحد البـــاحثين (٣٤) عن تصنيف المعاجم العربية الى عامة وخاصة نراه قد أهمل من المعـــاجم الخاصة أهم ما يميز هذه الطائفة من المعاجم وهما : غريب المصـــنف لأبى عبيد المتوفى /٢٢٤ هـ • والمخصص لابن سيده المتوفى /٤٥٨ هـ •

---

(٣٢) د• ابراهيم محمد نجا • المعاجم اللغوية ١٩١ • ط ١٩٧٧م•

(٣٣) بين يدى الطبعة الخامسة سنة ١٩٢٢ •

(٣٤) الدكتور أحمد سلطان فى الجزء الذى قام باعداده مع الدكتور عبد المنعم عبد الله فى كتابهما (المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد) ص ١٩ ، ٢٠ ط أولى ١٩٨٦ •

وجعلهما من المعاجم العامة التى تمثل القسم الأول من المعاجم عند كل الباحثين المحدثين والتى يمثلها كتاب العين والتهذيب والقاموس المحيط • وغيرها وهذا التصنيف يشوبه الخلط والاضطراب كما رأينا •

رأى الباحث :

لذا فان الباحث يرى تصنيف المعاجم باعتبار أغراضها وأهدافها ومناهجها الى ثلاثة أقسام بدلا من قسمين لنتلافى هذا الخلط غير المقصود أحيانا •

١ ــ معاجم الألفاظ أو المعاجم المجنسة وتشمل كل المعاجم اللغوية بدءا من معجم العين للخليل بن أحمد حتى المعجم الكبير الذى أصدر أخيرا منه مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الأول والثانى •

٢ ــ المعاجم المبوبة أو معاجم المعانى أو الموضوعات وتشتمل كتب الوسائل اللغوية والمجاميع ذات الموضوعات المتعددة ويمثلها الألفاظ لابن السكيت وهو من أقدم الكتب فى هذا الفن (٣٥) وفقه اللغة للثعالبى والمخصص لابن سيده وغريب المصنف لأبى عبيد وغيرها •

٣ ــ معاجم المصطلحات أو المعاجم الفنية كما سماها الدكتور / تمام حسان(٣٦) • وهى معاجم تتناول كما عظيما من الألفاظ واستعمالاتها فى فن واحد ومجموعة فنون مرتبة وفق الحروف والذى سوغ للباحث واعتمد عليه فى جعل المعاجم الفنية قسما ثالثا هو صعوبة

---

(٣٥) فقه اللغة د• وافى ٢٧٩ •
(٣٦) الأصول ٢٨٨ •

جعلها من بين المعاجم العامة (معاجم الألفاظ) لأنها لم تلتزم منهجها فى حشد الألفاظ وشرح مدلولاتها مع ذكر تصاريف الكلمة وما يتبعها من مشتقات وضبط .. الخ كما لا يمكن أن تكون من المعاجم المبوبة لأنها تختلف تماما فهى تشـــتمل على موضوع ما أو تتناول عدة موضوعات مع ذكر الألفاظ الخاصة بها كما هو الشأن فى تلك المعاجم .

لذا كان من الأجدر والأولى أن نعدها قسما ثالثا لينضم اليها كل المعاجم الدائرة فى هذا الفلك ، وهى جد كثيرة منذ أن بدأت فكرتها على يد الرمانى / ٣٨٤هـ فى كتـــابه حدود النحو والحدود النحوية للفاكهى ثم تطورت على يد الخوارزمى /٣٨٧ هـ . فى كتابه مفاتيح العلوم ثم الجرجانى فى كتابه التعريفات .. حتى وصلت على يد المتخصصين فى كل فن الى أوج ازدهارها وتطورها . عندما رأينا معاجم فى مصطلحات الزراعة والتجارة والقانون والفلسفة والفلك الى غير ذلك .

ونحن اذ نضيف هذا القسم الى المعاجم بالتصنيف الذى رأيناه انما نريح الباحث والدارس من عناء شديد كان يعانيه وهو يرى كثرة المعاجم يصنفها البعض تصنيفا يخالف الآخرين فيوقعه فى حيرة وارتباك فضلا عن معاجم المصطلحات التى فتحت أمامنا الباب لهذا التصـــنيف الجديد لأهميتها البالغة فى ميادين البحث اللغـــوى والعلمى . اذ أن البـــاحث اللغوى يعنيـــه بالدرجة الأولى الوقوف على تطور الألفـــاظ ودلالاتها المختلفة لعله يصل من وراء ذلك الى وضع تاريخ اللغة فى معجم خاص بذلك يتناول تطور الألفاظ واستعمالاتها عبر العصور .

دكتور / محمد السيد عطيه بكر
مدرس أصول اللغة ـ جامعة الأزهر

المراجع

١ ــ الاتقان فى علـــوم القرآن للسيوطى ط الرابعة ١٩٧٨ • مصطفى الحلبى •

٢ ــ أسس علم اللغة العربية د / محمود فهمى حجازى •

٣ ــ الأصول للدكتور تمـــام حسان ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م •

٤ ــ أنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٧٣ م •

٥ ــ البحث اللغوى عند العرب تأليف د / أحمد مختار عمر ط الرابعة ١٩٨٢ عالم الكتب •

٦ ــ تاريخ آدابَ العرب للرافعى ط الرابعة ١٩٧٤ م • دار الكتـــاب العربى بيروت •

٧ ــ التعريفات للجرجانى ط مصطفى الحلبى ١٩٣٨ م •

٨ ــ تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة •

٩ ــ ضحى الاسلام للأستاذ أحمد أمين ط الخامسة القاهرة مكتبة النهضة ١٩٥٦ •

١٠ ــ علم اللغة بين القديم والحديث د / عبد الغفـــار هـــلال دار الطباعة المحمدية ط الأولى ١٩٧٩ •

١١ ــ فصول فى فقه العربية تأليف د / رمضـــان عبد التواب مكتبة الخانجى بمصر ١٩٨٠ م •

١٢ ــ فقه اللغة د / عبد الواحد وافى ط الثانية ــ نهضة مصر •

١٣ ــ الفهرست لابن النديم القاهرة ١٣٤٨ هـ •

١٤ ــ مجلة الأزهر مجلد ٢٤ جـ٩ عدد مايو ١٩٥٣ م •

١٥ ــ محاضرات فى فقه العربيد د / عبد الفتاح البركاوى مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٩٨٢ م •

١٦ ــ المخصص لابن سيده ط بولاق •

١٧ ــ المصباح المنير للفيومى ط الخامسة المطبعة الأميرية ١٩٢٢ •

١٨ ــ المعاجم العربية بين الابتكـــار والتقليد تأليف د / عبد المنعم عبد الله ود / أحمد سلطان ط الأولى ١٩٨٦ م •

١٠ ــ المعاجم العربية دراسة تحليلية تأليف الدكتـــور عبد الســـميع محمد أحمد دار الفكر العربى ط الرابعة ١٩٨٤ م •

٢٠ ــ الماجم اللغوية تأليف د / ابراهيم محمد نجا مطبعة السعـــادة ١٩٧٧ م•

٢١ ــ المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورهـــا د / اميل يعقوب دار العلم للملايين ط الأولى ١٩٨١ م •

٢٢ ــ المعجم العربى فكرا وتأليفـــا تأليف د / ابراهيم محمد أبو سكين مطبعة الأمانة ١٩٨٣ م •

٢٣ ــ المعجم العربى نشأته وتطوره تأليف د / حسين نصار مكتبة الخانجى •

٢٤ ــ المعجم الوجيز وضـــع مجمع اللغـــة العربية بالقاهرة ط الأولى ١٩٨٠ م •

٢٥ ــ مقدمة الصحاح تأليف أحمد عبد الغفور عطار دار العلم بيروت ط الثانية ١٩٧٩ م •